

## تفسير سورة إبراهيم - عليه السلام - وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ كِتَبٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعُودَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي صُلْحٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾

[التعريف بالقرآن ومقصوده والويل لمن خالفه]

قد تقدم الكلام على الحروف المفطعة في أوائل السور ﴿كِتَبٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ أي هذا كتاب أنزلناه إليك يا محمد، وهو القرآن العظيم الذي هو أشرف كتاب أنزله الله من السماء، على أشرف رسول بعثه الله في الأرض إلى جميع أهلها عربهم وعجمهم ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي إنما بعثناك يا محمد بهذا الكتاب لتخرج الناس مما هم فيه من الضلال والغي إلى الهدى والرشد، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ أَطْلُغُوهُ يُخْرِجُوهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ مَا يَشَاءُ وَيَنْتَظِرُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ الآية.

وقوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ أي هو الهادي لمن قدر له الهداية على يدي رسوله المبعوث عن أمره يهديهم ﴿إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ﴾، أي العزيز الذي لا يمانع ولا يغالب، بل هو القاهر لكل ما سواه، ﴿الْحَمِيدِ﴾ أي المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وأمره ونهيه الصادق في خبره. وقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ قرأ بعضهم مستأنفاً مرفوعاً، وقرأ آخرون على الإبتاع صفة للجلالة، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَذَكَّرُ النَّاسُ مِنِّي رَسُولٌ لِّهِمْ لَوْ كُنُّوا يَعْقِلُونَ﴾ الآية. وقوله: ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ أي ويل لهم يوم القيامة إذ خالفوك يا محمد وكذبوك، ثم وصفهم بأنهم يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة، أي يقدمونها ويؤثرونها عليها ويعملون للدنيا،

سُورَةُ الْإِبْرَاهِيمَ

٢٥٥

سُورَةُ الْإِبْرَاهِيمَ

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤﴾

سُورَةُ الْإِبْرَاهِيمَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ كِتَبٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعُودَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي صُلْحٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا اللَّهُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

ونسوا الآخرة وتركوها وراء ظهورهم ﴿وَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهي اتباع الرسل ﴿وَيَعُودَهَا عِوَجًا﴾ أي ويحبون أن تكون سبيل الله عوجاً مائلة عاتلة، وهي مستقيمة في نفسها لا يضرها من خالفها، ولا من خذلها، فهم في ابتغائهم ذلك في جهل وضلال بعيد من الحق، لا يرجح لهم - والحالة هذه - صلاح.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [كل نبي أرسل بلسان قومه لتكون الهداية أو الضلال

بعد تبينه]

هذا من لطفه تعالى بخلقه أنه يرسل إليهم رسلاً منهم بلغاتهم، ليفهموا عنهم ما يريدون، وما أرسلوا به إليهم، وقوله: ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ أي بعد البيان وإقامة الحججة عليهم، يضل الله من يشاء عن وجه الهدى، ويهدي من يشاء إلى الحق ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أفعاله،

يفضل من يستحق الإضلال، ويهدي من هو أهل لذلك، وقد كانت هذه سنته في خلقه أنه ما بعث نبياً في أمة إلا أن يكون بلغتهم، فاختص كل نبي بإبلاغ رسالته إلى أمته دون غيرهم، واختص محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ بعموم الرسالة إلى سائر الناس، كما ثبت في الصحيحين عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيتُ حَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُجِلَّتْ لِي الْعَنَائِمُ وَلَمْ تَحُلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»<sup>(١)</sup>. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.

**﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾**  
**[قصة موسى وقومه]**

يقول تعالى: وكما أرسلناك يا محمد وأنزلنا عليك الكتاب لتخرج الناس كلهم، تدعوهم إلى الخروج من الظلمات إلى النور، كذلك أرسلنا موسى إلى بني إسرائيل بآياتنا، قال مجاهد: هي التسع الآيات ﴿أَنْتَ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ أي أمرناه قائلين له ﴿أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي ادعهم إلى الخير ليخرجوا من ظلمات ما كانوا فيه من الجهل والضلال إلى نور الهدى وبصيرة الإيمان، ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ أي بأياديه ونعمه عليهم في إخراجه إياهم من أسر فرعون وقهره وظلمه وغشمه، وإنجائه إياهم من عدوهم، وقلقه لهم البحر، وتظليله إياهم بالغمام، وإنزاله عليهم المن والسلوى إلى غير ذلك من النعم، قال ذلك مجاهد وقتادة وغير واحد<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أي إن فيما صنعنا بأوليائنا بني إسرائيل حين أنقذناهم من يد فرعون، وأنجيناهم مما كانوا فيه من العذاب المهين، لعبرة لكل صبار، أي في الضراء، شكور أي في السراء، كما قال قتادة: نعم العبد عبد إذا ابتلي صبر، وإذا أعطي شكر<sup>(٣)</sup>. وكذا جاء في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ أَمْرَ الْمُؤْمِنِ كُلُّهُ عَجَبٌ، لَا يُفْضِي اللَّهُ لَهُ قَصَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ، إِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ،

وَإِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»<sup>(٤)</sup>.  
**﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدْعُونَ إِلَيْكُمْ أِنَّكُمْ لِنَجْنِيئِهِمْ وَنِسَاءَهُمْ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾**  
**﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِجَّتُكُمْ لَمِنْ شُكْرَتِهِمْ لِأَزِيدَنكُمْ وَلَمِنْ كُفْرَتِهِمْ إِنَّ عَذَابِي لِشَدِيدٌ﴾**  
**﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾**

يقول تعالى مخبراً عن موسى حين ذكر قومه بأيام الله عندهم ونعمه عليهم، إذ أنجاهم من آل فرعون، وما كانوا يسومونهم به من العذاب والإذلال، حيث كانوا يذبون من وجد من أنبائهم، ويتركون إناثهم، فأنقذهم الله من ذلك، وهذه نعمة عظيمة، ولهذا قال: ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ أي نعمة عظيمة منه عليكم في ذلك، أنتم عاجزون عن القيام بشكرها وقيل: وفيما كان يصنعه بكم قوم فرعون من تلك الأفاعيل ﴿بَلَاءٌ﴾ أي اختبار عظيم، ويحتمل أن يكون المراد هذا وهذا، والله أعلم، كقوله تعالى: ﴿وَيَلْوَنُهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. وقوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِجَّتُكُمْ﴾ أي أذنتكم وأعلمكم بوعده لكم، ويحتمل أن يكون المعنى: وإذا أقسم ربكم وآلى بعزته وجلاله وكبريائه، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِجَّتُكُمْ لَبِيعَتَّنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْبَيْعَةِ﴾.

وقوله: ﴿لَمِنْ شُكْرَتِهِمْ لِأَزِيدَنكُمْ﴾ أي لئن شكرتم نعمتي عليكم لأزيدنكم منها، ﴿وَلَمِنْ كُفْرَتِهِمْ﴾ أي كفرتم النعم وسترتموها وجحدتموها ﴿إِنَّ عَذَابِي لِشَدِيدٌ﴾ وذلك بسلبها عنهم، وعقابه إياهم على كفرها، وقد جاء في الحديث: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقُ بِالدَّنْبِ يُصِيبُهُ»<sup>(٥)</sup>.  
 وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ أي هو غني عن شكر عباده، وهو الحميد المحمود وإن كفره من كفره، كقوله: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنكُمْ﴾ الآية. وقوله: ﴿فَكْفُرُوا وَقَوْلُوا وَاسْتَعْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ عَنِّي حَمِيدٌ﴾. وفي صحيح مسلم عن أبي ذر عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: «أَنَّهُ قَالَ: يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَجْتُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ

(١) فتح الباري: ١/١٩٩، ١/٣٧٠ (٢) الطبري: ١٦/٥٢١ (٣) الطبري: ١٦/٥٢٣ (٤) مسلم: ٤/٢٢٩٥ (٥) أحمد: ٥/٢٨٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٥٦

سُورَةُ الْاِبْرٰهِيْمَ

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَوْجَعَكُمْ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْعِيحُونَ أَسْمَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا بِأَنَّهُ لَغَيِّئٌ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا الَّذِينَ

مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِ اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتِ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَاقْتُونَا بِلِسْطَانِ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتِ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَاقْتُونَا بِلِسْطَانِ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ قَيْدُ كُلِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَىٰ اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلًا وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْنَا مَا آدَّبْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾

### [المجادلة بين الأنبياء والكفار]

يخبر تعالى عما دار بين الكفار وبين رسلهم من المجادلة، وذلك أن أمهم لما واجههم بالشك فيما جاءوهم به من عبادة الله وحده لا شريك له، قالت الرسل: ﴿أَفِ اللَّهِ شَكٌّ﴾ أي أفي إلهيته وتفردته بوجوب العبادة له شك، وهو الخالق لجميع الموجودات، ولا

(١) مسلم: ١٩٩٤/٤ (٢) الطبري: ٥٢٨/١٦ (٣) القرطبي:

٣٤٤/٩ (٤) الطبري: ٥٣٤/١٦ (٥) الطبري: ٥٣٣/١٦

كَانُوا عَلَىٰ أَتَقَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَجْتُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَجْتُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي ضَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مِّسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمُغِطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ ﴿١١﴾ فَسَبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الْغَنِيِّ الْحَمِيدُ.

﴿اللَّهُ يَا أَيُّكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٩﴾﴾

### [تكذيب الأمم لرسولهم وما دار بينهم]

خبر مستأنف من الله تعالى لهذه الأمة، فله تعالى قد قص علينا خبر قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الأمم المكذبة للرسول مما لا يحصي عددهم إلا الله عز وجل ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي بالحجج والدلائل الواضحات الباهرات القاطعات. وقال ابن إسحاق عن عمرو بن ميمون، عن عبدالله أنه قال في قوله: ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ كذب النسابون (٢). وقال عروة بن الزبير: ما وجدنا أحدًا يعرف ما بعد معد بن عدنان (٣).

### [تفسير: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾]

وقوله: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ قيل: معناه أنهم أشاروا إلى أفواه الرسل بأمرهم بالسكوت عنهم لما دعواهم إلى الله عز وجل. وقيل: بل وضعوا أيديهم على أفواههم تكذيبًا لهم. وقيل: بل هو عبارة عن سكوتهم عن جواب الرسل. وقيل معناه: عضوا عليها غيظًا. وقال مجاهد ومحمد بن كعب وقتادة: معناه أنهم كذبوهم وردوا عليهم قولهم بأفواههم (٤). قلت: ويؤيد مجاهد تفسير ذلك بتمام الكلام ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ وقال العوفي عن ابن عباس: لما سمعوا كلام الله عجبوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم (٥)، ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ الآية، يقولون: لا نصدقكم فيما جئتم به، فإن عندنا فيه شكًا قويًا.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِ اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ

٢٥٧

سُورَةُ الْاِبْرَاهِيمَ

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ  
يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَمَا كُنَّا لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ  
بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ  
(١١) وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَّوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا  
وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ  
(١٢) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّسُلُ هُمْ تَنْخَرِحَتَكُمْ مِنْ  
أَرْضِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ  
الظَّالِمِينَ (١٣) وَلَنَسُكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ  
ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٤) وَأَسْتَفْتَحُوا  
وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَسُقِيَ  
مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ  
وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمَنْ  
وَرَّاهُ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٧) مِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ  
أَعْمَلَهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ  
مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۗ ذَلِكَ هُوَ الصَّلْوَالُ الْبَعِيدُ (١٨)

قريش: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَبْسُوتُكَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٦). وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْسُوتَكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِيينَ﴾ (٣٠). وكان من صنعه تعالى أنه أظهر رسوله ونصره، وجعل له بسبب خروجه من مكة أنصاراً وأعاوناً وجنوداً يقاتلون في سبيل الله تعالى، ولم يزل يرقبه تعالى من شيء إلى شيء حتى فتح له مكة التي أخرجته، ومكَّن له فيها، وأرغم أنوف أعدائه منهم ومن سائر أهل الأرض حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً، وظهرت كلمة الله ودينه على سائر الأديان في مشارق الأرض ومغاربها في أيسر زمان، ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ (١٣) وَلَنَسُكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكُمْ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٤) وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَسُقِيَ مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمَنْ وَرَّاهُ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٧)

[تهديد الأمم رسلهم وتبشير الله لهؤلاء الرسل]

يخبر تعالى عما توعدت به الأمم الكافرة رسلهم من الإخراج من أرضهم والنفي من بين أظهرهم، كما قال قوم شعيب له ولمن آمن به: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ بِشَعْبِكَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا﴾ الآية. وكما قال قوم لوط: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ الآية، وقال تعالى إخباراً عن مشركي

يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له، فإن غالب الأمم كانت مقرة بالصانع، ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنونها تففعهم أو تقربهم من الله زلفى، وقالت لهم رسلهم: ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ أي في الدار الآخرة ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أي في الدنيا كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا مِنْكُمْ لَكُمْ ثُمَّ تُوْبُوا إِلَيْهِ يُعْذِرْكُمْ مِنْتَعَا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ الآية، فقالت لهم الأمم محاجين في مقام الرسالة بعد تقدير تسليمهم المقام الأول.

[عدم اعتراف الكفار برسالة الرسل لأجل أنهم بشر]

وحاصل ما قالوه: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ أي كيف نتبعكم بمجرد قولكم ولما نر منكم معجزة، ﴿فَأَتَوْنَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي خارق نفترحه عليكم ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ أي صحيح إنا بشر مثلكم في البشرية ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ أي بالرسالة والنبوة ﴿وَمَا كُنَّا لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ﴾ على وفق ما سألتهم ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي بعد سؤالنا إياه وإذنه لنا في ذلك ﴿وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي في جميع أمورهم، ثم قالت الرسل: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَّوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ أي وما يمنعنا من التوكل عليه، وقد هदानا لأقوم الطرق وأوضحها وأبينها ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا﴾ أي من الكلام السيء والأفعال السخيفة ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ (١٣) وَلَنَسُكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكُمْ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٤) وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَسُقِيَ مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمَنْ وَرَّاهُ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٧)

[تهديد الأمم رسلهم وتبشير الله لهؤلاء الرسل]

يخبر تعالى عما توعدت به الأمم الكافرة رسلهم من الإخراج من أرضهم والنفي من بين أظهرهم، كما قال قوم شعيب له ولمن آمن به: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ بِشَعْبِكَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا﴾ الآية. وكما قال قوم لوط: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ الآية، وقال تعالى إخباراً عن مشركي

الآية، ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ بَنَاتِهِ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (١٣)

وقال تعالى: ﴿وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَعْمَقُونَ مَشْرَفَ الْأَرْضِ وَمَعْرِبَهَا الَّتِي بَنَرَكْنَا فِيهَا وَعَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحَسَنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ (١٧) وقوله: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعَبِدَ﴾ أي وعبيدي هذا لمن خاف مقامي بين يدي يوم القيامة وخشي من وعيدي وهو تخويفي وعذابي كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ (٢٧) وَأَوَّارَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿٢٨﴾ فَإِنَّ الْآلِهَةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٢٩﴾ وقال: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (٤٤).

وقوله: ﴿وَأَسْتَفْحُوا﴾ أي استنصرت الرسل ربها على قومها، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة<sup>(١)</sup>. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: استفتحت الأمم على أنفسها<sup>(٢)</sup> كما قالوا: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أُنزِلْ عَلَيْنَا آيَاتٍ﴾ ويحتمل أن يكون هذا مرادًا وهذا مرادًا، كما أنهم استفتحوا على أنفسهم يوم بدر، واستفتح رسول الله ﷺ واستنصر، وقال الله تعالى للمشركين: ﴿إِنْ تَسْتَفِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ الآية، والله أعلم، ﴿وَحَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ أي متجبر في نفسه عنيد معاند للحق، كقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ كُلِّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (١٤) مَنَاجٍ لِلْحَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيدٍ ﴿١٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْفَيْهِ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿١٦﴾ وفي الحديث: «إِنَّهُ يُؤْتِي بِجَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتُنَادِي الْخَلَائِقَ، فَتَقُولُ: إِنِّي وَكُلْتُ بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ»<sup>(٣)</sup> الحديث. أي خاب وخسر حين اجتهد الأنبياء في الابتهاج إلى ربها العزيز المقتدر.

وقوله: ﴿مَنْ وَرَّاهُ وَرَّاهُ جَهَنَّمَ﴾ وراء هنا بمعنى أمام، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِيهَةٍ غَضْبًا﴾ وكان ابن عباس يقرؤها: وكان أمامهم ملك، أي من وراء الجبار العنيد جهنم، أي هي له بالمرصاد يسكنها مخلدًا يوم المعاد، ويعرض عليها غدوًا وعشيا إلى يوم التناد ﴿وَسُئِلَ مِنْ مَاءٍ صَافٍ﴾ أي في النار، ليس له شراب إلا من حميم وغساق، فهذا حار في غاية الحرارة، وهذا بارد في غاية البرد والتنن، كما قال: ﴿هَذَا فَلْيَذوقوه حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ﴾ (٥٧) وَمَا خَرَّ مِنْ شَكْلِهِ زَوْجٌ ﴿٥٨﴾ وقال مجاهد وعكرمة:

الصديد من القيح والدم<sup>(٤)</sup>.  
يقول الله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾  
ويقول: ﴿وَلَنْ يَسْتَعِينُوا بِعُلَّاقٍ وَإِنَّمَا كَانُوا هُمُ الْوَجُوهُ﴾  
الآية، وهكذا رواه ابن جرير<sup>(٥)</sup>.  
وقوله: ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ أي يتغصصه ويتكرهه، أي يشربه قهراً وقسراً لا يضعه في فمه حتى يضربه الملك بمطراق من حديد، كما قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَمْلِكْ مِنْ حَمِيمٍ﴾ (٦١) ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ أي يزدرده لسوء طعمه ولونه وريحه وحرارته أو برده الذي لا يستطيع ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي يألم له جميع بدنه وجوارحه وأعضائه. قال عمرو بن ميمون بن مهران: من كل عظم وعصب وعرق<sup>(٦)</sup>.  
وقال الضحاک عن ابن عباس: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ قال: أنواع العذاب الذي يعذبه الله بها يوم القيامة في نار جهنم، ليس منها نوع إلا يأتيه الموت منه لو كان يموت، ولكن لا يموت لأن الله تعالى قال: ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ مِنْ عَذَابِهَا﴾<sup>(٧)</sup> ومعنى كلام ابن عباس رضي الله عنهما أنه ما من نوع من هذه الأنواع من العذاب إلا إذا ورد عليه اقتضى أن يموت منه لو كان يموت، ولكنه لا يموت ليخلد في دوام العذاب والنكال، ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِحَيِّتٍ﴾.  
وقوله: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ أي وله من بعد هذه الحال عذاب آخر غليظ، أي مؤلم صعب شديد أغلظ من الذي قبله، وأدهى وأمر، وهذا كما قال تعالى عن شجرة الرقوم: ﴿إِنهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ (١٤) طَلْعَهَا كَأَنَّهُ زُؤَانٌ الشَّيْطَانِ ﴿١٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْنٌ مِنْهَا أَبْطُونٌ ﴿١٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِمَّنْ حَمِيمٍ ﴿١٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ فأخبر أنهم تارة يكونون في أكل زقوم، وتارة في شرب حميم، وتارة يردون إلى جحيم، عيادًا بالله من ذلك، وهكذا قال تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ (٢٤) يَطُوفُونَ فِيهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٢٥﴾، وقال تعالى:

(١) الطبري: ٥٤٤/١٦، ٥٤٥، (٢) الطبري: ٥٤٥/١٦، (٣)

الترمذي: ٢٥٧٣، ٢٥٧٤، (٤) الطبري: ٥٤٨/١٦، (٥)

الطبري: ٥٤٩/١٦، (٦) الدر المنثور: ١٦/٥، (٧) الدر

﴿إِنَّ سَجْرَةَ الزُّرْقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامَ الْأَيْمِيِّ ﴿٤٤﴾ كَالْمَهْلِ يَغْلِي فِي  
الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَعَلِي الْحَمِيرِ ﴿٤٦﴾ حَذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاهِ  
الْحَمِيرِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ سُبُوهُ فَوْقَ رَأْسِهِ. مِنْ عَذَابِ الْحَمِيرِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ  
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ  
تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾، وقال: ﴿وَأَحْبَبُ الشَّمَالِ مَا أَحْبَبُ الشَّمَالِ ﴿٥١﴾ فِي  
سَمِيرٍ وَمَجْمِرٍ ﴿٥٢﴾ وَظِلٌّ مِنْ مَجْمُورٍ ﴿٥٣﴾ لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ ﴿٥٤﴾،  
وقال تعالى: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ لَشَرَّ مَتَابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ صَلَوَاتُهَا  
فِيئْسَ الْهَادِئِ ﴿٥٦﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٍ وَعَسَاقٍ ﴿٥٧﴾ وَوَاخِرُ مِنْ سُكَّالِهِ  
أَرْوَجٌ ﴿٥٨﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على تنوع  
العذاب عليهم، وتكراره وأنواعه، وأشكاله مما لا يحصىه  
إلا الله عز وجل جزاءً وفاقاً ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ  
فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ  
الصَّلْطَلُ الْبَعِيدُ ﴿٧٨﴾﴾

[مثل لأعمال الكفار]

هذا مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكفار الذين عبدوا  
معه غيره، وكذبوا رسله، وبنوا أعمالهم على غير أساس  
صحيح، فانهارت وعدموها أحوج ما كانوا إليها، فقال  
تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ﴾ أي مثل  
أعمالهم يوم القيامة إذا طلبوا ثوابها من الله تعالى، لأنهم  
كانوا يحسبون أنهم كانوا على شيء فلم يجدوا شيئاً، ولا  
ألفوا حاصلًا إلا كما يتحصل من الرماد إذا اشتدت به  
الريح العاصفة ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ أي ذي ريح شديدة  
عاصفة قوية، فلم يقدرُوا على شيء من أعمالهم التي  
كسبوا في الدنيا إلا كما يقدرُونَ على جمع هذا الرماد في  
هذا اليوم، كقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ  
فَجَعَلْنَاهُ هَبًّا مَنْشُورًا ﴿٧٣﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ  
فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرَّتِ قَوْمٍ  
ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ  
يَظْلِمُونَ ﴿٧٧﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُبْطَلُوا  
صَدَقَاتِكُمْ وَالْمَنْ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِقَاةً لِلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ  
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ  
فَفَرَّكُمُ مَسَلًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ وَمَا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا  
يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٦﴾﴾، وقوله في هذه الآية: ﴿ذَلِكَ  
هُوَ الصَّلْطَلُ الْبَعِيدُ﴾ أي سعيهم وعملهم على غير أساس ولا  
استقامة، حتى فقدوا ثوابهم أحوج ما كانوا إليه ﴿ذَلِكَ

هُوَ الصَّلْطَلُ الْبَعِيدُ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ  
يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧٨﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٧٩﴾﴾

[برهان الحياة بعد الممات]

يقول تعالى مخبراً عن قدرته على معاد الأبدان يوم  
القيامة بأنه خلق السموات والأرض التي هي أكبر من  
خلق الناس، أفليس الذي قدر على خلق هذه السموات  
في ارتفاعها واتساعها وعظمتها، وما فيها من الكواكب  
الثوابت والسيارات، والحركات المختلفة، والآيات  
الباهرات، وهذه الأرض بما فيها من مهاد ووهاد وأوتاد،  
وبراري وصحاري، وقفار وبحار، وأشجار ونبات،  
وحيون على اختلاف أصنافها ومنافعها وأشكالها  
ألوانها ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ  
يَعَى بِخَلْقِهِنَّ يَقْدِرْ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَةَ بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
قَدِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ  
نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسَى خَلْقَهُ  
قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعَظْمَ وَهِيَ رَيْبٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا  
أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ  
الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَشْتَمَ مِنْهُ تُوفُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي  
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقْدِرْ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْهَا بَلَى وَهُوَ  
الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ  
فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسَبِّحْنِ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ  
تَرْجِعُونَ ﴿٨٣﴾ وقوله: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧٩﴾  
وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٨٠﴾﴾ أي بعضهم ولا ممتنع بل هو  
سهل عليه إذا خالتم أمره أن يذهبكم ويأت بأخرين على  
غير صفتكم كما قال: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَنْتَ الْفُقَرَاءَ إِلَى اللَّهِ  
وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٥٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ  
جَدِيدٍ ﴿٥٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٥٧﴾﴾ وقال: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا  
يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٧٤﴾﴾ وقال: ﴿يَتَأْتِيَ  
الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ رَبِّكَ مِنْكُمْ عَن رَّبِّهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ  
وَيُحِبُّونَهُمْ ﴿٧٥﴾﴾ وقال: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ  
بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿٧٦﴾﴾.

﴿وَسِرُّوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالِ الصُّعْفَتَا لِلَّذِينَ أَسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا  
لَكُمْ تَعَاً فَهَلْ أَسْتَفْتُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ  
هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءَ عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْ صَبْرُنَا مَا لَنَا مِنَ

مُحِيسٍ ﴿٧٦﴾﴾

## [مجادلة التابعين والمتبوعين من أهل النار]

يقول تعالى: ﴿وَبَرِّزُوا﴾ أي برزت الخلائق كلها برها وفاجرها لله الواحد القهار، أي اجتمعوا له في براز من الأرض، وهو المكان الذي ليس فيه شيء يستر أحداً ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾ وهم الأتباع لقادتهم وسادتهم وكبرائهم ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ عن عبادة الله وحده لا شريك له، وعن موافقة الرسل، قالوا لهم: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ أي مهما أمرتمونا اتمرونا وفعلنا ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَلَّامٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي فهل تدفعون عنا شيئاً من عذاب الله كما كنتم تعدوننا وتمنوننا، فقالت القادة لهم: ﴿لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْتُكُمْ﴾ ولكن حق علينا قول ربنا، وسبق فينا وفيكم قدر الله، وحققت كلمة العذاب على الكافرين، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَّرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّجِيصٍ﴾ أي ليس لنا خلاص مما نحن فيه إن صبرنا عليه أو جزعنا منه.

قلت: والظاهر أن هذه المراجعة في النار بعد دخولهم إليها، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا يَتَخَفُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَلَّامٌ ضَعِيفًا مِنَ النَّارِ﴾ ﴿١٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّكَ اللَّهُ قَدَّحَكَم بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿١٨﴾ وقال تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْأَجْنَاسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَنْتَ أَخْبَهَا حَتَّى إِذَا آذَرَكُمُوهَا فِيهَا جِيءَ بِالنَّارِ فَأُولَئِهِمْ لِأُولَئِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصْلُكُمْ فَاتَيْبَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ وَقَالَتْ أُولَئِهِمْ لِأُولَئِهِمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ ﴿٢٩﴾، وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَصَلُّوا السَّبِيلَ﴾ ﴿١٧﴾ رَبَّنَا إِنَّا فِي ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ ﴿١٨﴾ وأما تخاصمهم في المحشر، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضِعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٦﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضِعُّوا أَمْحَى صَدَدُكُمْ عَنِ الْهَدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ شُرَكَائِي﴾ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضِعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرٌ أُتِيْلَ وَالنَّهَارُ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَحْمَلَ لَهُ أَثْمًا وَأَمْشُوا السَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٧﴾

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّكَ اللَّهُ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقَّ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٥٨

سُورَةُ الْاِبْرَاهِيمَ

الَّذِينَ تَرَأَتْهُ أَفْئِدَةٌ مِمَّنْ شَاءَ اللَّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَلَّامٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْتُكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَّرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّجِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّكَ اللَّهُ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقَّ وَوَعَدْتَكُمْ فَأَخْلَفْتَكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَا تُلِمُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأَدْخِلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾

رَوَدُّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَا تُلِمُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأَدْخِلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾

## [خطاب إبليس أتباعه واعتذاره إليهم يوم القيامة]

يخبر تعالى عما خاطب به إبليس أتباعه بعدما قضى الله بين عباده، فأدخل المؤمنين الجنات، وأسكن الكافرين الدركات، فقام فيهم إبليس - لعنه الله - يومئذ خطيباً ليزيدهم حزناً إلى حزنهم، وغناً إلى غنهم، وحسرة إلى حسرتهم، فقال: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقَّ﴾ أي على ألسنة رسله، ووعدكم في اتباعهم النجاة والسلامة، وكان وعداً حقاً وخبراً صدقاً، وأما أنا فوعدتكم فأخلفتكم، كما قال الله تعالى: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُؤْتِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوبًا﴾ ﴿٢٠﴾، ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي

ما كان لي عليكم فيما دعوتكم إليه دليل ولا حجة فيما وعدتكم به ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُمْ فَلَسْتَجِيبَنَّ لِي﴾ بمجرد ذلك، هذا وقد أقامت عليكم الرسل الحجج والأدلة الصحيحة على صدق ما جاءوكم به، فخالفتموهم فصرتم إلى ما أنتم فيه ﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾ اليوم ﴿وَلَوْمُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ فإن الذنب لكم لكونكم خالفتم الحجج، واتبعتموني بمجرد ما دعوتكم إلى الباطل ﴿مَا أَنَا بِمُفْرِضٍ﴾ أي بنافعكم ومتقدمكم ومخلصكم مما أنتم فيه ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُفْرِحِينَ﴾ أي بنافعي بإنفاذي مما أنا فيه من العذاب والنكال ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ قال قتادة: أي بسبب ما أشركتموني من قبل (١). وقال ابن جرير: يقول: إني جحدت أن أكون شريكاً لله عز وجل (٢). وهذا الذي قاله هو الراجح، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَسْأَلْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ لَدُنِّي لَمْ يَأْتِ بِدَلِيلٍ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُيِّرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾ قال: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾.

وقوله: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ أي في إعراضهم عن الحق واتباعهم الباطل، لهم عذاب أليم، والظاهر من سياق الآية أن هذه الخطبة تكون من إبليس بعد دخولهم النار كما قدمنا، وقال عامر الشعبي: يقوم خطيبان يوم القيامة على رؤوس الناس، يقول الله تعالى لعيسى ابن مريم: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي مِنَ دُونِ اللَّهِ﴾ إلى قوله ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ قال: ويقوم إبليس - لعنه الله - فيقول: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ الآية (٣). ثم لما ذكر تعالى مآل الأشقياء وما صاروا إليه من الخزي والنكال، وأن خطيبهم إبليس، عطف بمآل السعداء، فقال: ﴿وَأَدْخِلْ آلَ إِبْرَاهِيمَ إِسْرًا وَوَعَدْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ فِيهَا مِنْهَا لَكُمْ وَمِنْهَا لِي وَلَهُمْ فِيهَا مِنْكُمْ﴾ الآية (٤). وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الآية (٥). وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِيهَا ضَعُفٌ لَكُمْ﴾ الآية (٦). وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِيهَا ضَعُفٌ لَكُمْ﴾ الآية (٧). وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِيهَا ضَعُفٌ لَكُمْ﴾ الآية (٨). وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِيهَا ضَعُفٌ لَكُمْ﴾ الآية (٩). وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِيهَا ضَعُفٌ لَكُمْ﴾ الآية (١٠).

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ صَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١٦﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خبيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خبيثَةٍ اجْتَنَّتْ مِنْ قَوْفِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿١٨﴾﴾

### [مثل كلمة الإسلام وكلمة الكفر]

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ شهادة أن لا إله إلا الله ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ وهو المؤمن ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ يقول: لا إله إلا الله في قلب المؤمن ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ يقول: يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء (٤). وهكذا قال الضحاك وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وغير واحد (٥). إن ذلك عبارة عن عمل المؤمن، وقوله الطيب، وعمله الصالح، وإن المؤمن كشجرة من النخل لا يزال يرفع له عمل صالح في كل حين ووقت وصباح ومساء.

وروى البخاري عن ابن عمر قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «أخبروني عن شجرة تشبه - أو - كالجبل المسلم لا يتحاث ورفقها صيفا ولا شتاء، وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها» قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم، فلما لم يقولوا شيئا، قال رسول الله ﷺ: «هي النخلة» فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه، والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة. قال: ما منعك أن تتكلم؟ قلت: لم أركم تتكلمون، فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئا، قال عمر: لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا (٦).

وعن ابن عباس ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ قال: هي شجرة في الجنة (٧). وقوله: ﴿تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ قيل: غدوة وعشياً، والظاهر من السياق أن المؤمن مثله كمثل شجرة لا يزال يوجد منها ثمر في كل وقت من صيف أو شتاء أو ليل أو نهار، كذلك المؤمن لا يزال يرفع له عمل صالح آتاه الليل وأطراف النهار في كل وقت وحين ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ أي كاملاً حسناً كثيراً طيباً مباركاً ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

(١) الطبري: ٥٦٤/١٦ (٢) الطبري: ٥٦١/١٦ (٣) الطبري:

٥٦٢/١٦ (٤) الطبري: ٥٦٧/١٦ (٥) الطبري: ١٦/١٦

٥٧٣، ٥٧٢ (٦) فتح الباري: ٢٢٨/٨ (٧) الطبري: ٥٧٣/١٦



فَيَقُولُ اللَّهُ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتَهُمْ وَفِيهَا أَعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، قَالَ: فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَإِنِّي مَلَكَانِ فَيُجَلِّسَانِيهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَعَثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عَلِمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَإِنِّي مَنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَالْبَسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ - قَالَ - : فَإِنِّي مِنْ رُوحِهَا وَطَيْبِهَا، وَيُفْسَخُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنَ الْوَجْهِ، حَسَنَ الثِّيَابِ، طَيِّبَ الرَّيْحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَأْتِي بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحِ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ، رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي.

قَالَ: وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالِ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَجَلَسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ فَيَجْلِسُ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيُّهَا النَّفْسُ الْحَيَّةُ، أَخْرِجِي إِلَى سَخَطِ مَنْ اللَّهُ وَعَظَبِ - قَالَ - : فَتَفْرُقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزِعُ السَّفُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُورِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، فَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ جِيْفَةٍ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَضَعُدُونَ بِهَا، فَلَا يَمْرُونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الْحَيَّةُ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ بِأَفْجَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَنْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿لَا تَفْتَحْ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ فَيَقُولُ اللَّهُ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتَطْرَحُ رُوحُهُ طَرَحًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لِكَلِمَةٍ حَبِيبَةٍ كَشَجَرَةٍ حَبِيبَةٍ﴾ هذا مثل كفر الكافر لا أصل له ولا ثبات، مشبه بشجرة الحنظل، ويقال لها الشريان. رواه شعبة عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك: أنها شجرة الحنظل<sup>(١)</sup> وقوله: ﴿اجْتَنَّتْ﴾ أي استوصلت ﴿مِنَ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ أي لا أصل لها ولا ثبات، كذلك الكفر لا أصل له ولا فرع، ولا يصعد للكافر عمل، ولا يتقبل منه شيء.

﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ النَّبِيَّ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾<sup>(٢)</sup>

**[تثبيت المؤمن بالقول الثابت في الدنيا والآخرة]**

روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ النَّبِيَّ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾»<sup>(٣)</sup> ورواه مسلم أيضاً وبقية الجماعة كلهم.

وروى الإمام أحمد عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتبهنا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ، وجلسنا حوله كان على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت به الأرض، فرفع رأسه فقال: «اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» مرتين أو ثلاثاً، ثم قال: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالِ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وَجُوهُهُمْ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَرٌ مِنَ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيُّهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ أَخْرِجِي إِلَى مَغْفِرَةِ مَنْ اللَّهُ وَرِضْوَانِ - قَالَ - : فَتَخْرُجُ تَسْبِيلًا، كَمَا تَسْبِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّمَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفْرِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةٍ مِثْلٍ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَضَعُدُونَ بِهَا، فَلَا يَمْرُونَ بِهَا - يَعْنِي - عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتَحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُ فَيَسْمَعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقْرَبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يَنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ،

(١) الطبري: ٥٦٩/١٦ (٢) فتح الباري: ٢٢٩/٨ (٣) مسلم:

٢٢٠١/٤ وأبو داود: ١١٢/٥ وتحفة الأحوذى: ٥٤٧/٨

والنسائي في الكبرى: ٣٧٢/٦

تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَجِيٍّ ﴿٢٧﴾ فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِيهِ وَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مَنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَّبَ عَبْدِي فَأَفْرَسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسُمُومِهَا، وَيَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرَهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ فَيَسْأَلُهُ، فَيَسْأَلُهُ فِيهِ الثِّيَابَ، فَيَقُولُ: أُنَبِّئُكَ بِالَّذِي يَسْأَلُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: وَمَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالسَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْحَيِّثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تَقِمِ السَّاعَةَ ﴿٢٨﴾ ورواه أبو داود وابن ماجه (٢).

وروى الإمام عبد بن حميد رحمه الله في مسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَقْعِدَانِيهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ قَالَ: فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَيَقَالُ لَهُ: انظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ»، قال النبي ﷺ: «فَبَرَأهُمَا جَمِيعًا»، قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعًا، ويملا عليه خصرًا إلى يوم القيامة (٣).  
رواه مسلم عن عبد بن حميد به وأخرجه النسائي من حديث يونس بن محمد المؤدب (٤).

وروى الحافظ أبو عيسى الترمذي رحمه الله عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَنَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَرَزَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: مُنْكَرٌ وَالْآخَرُ نَكِيرٌ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُنْسَخُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي فَأَخْبِرْهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ نَوْمَةَ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُمْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، فَيَقَالُ لِلْأَرْضِ: التَّيْمِي عَلَيْهِ، فَكَلِّتِي عَلَيْهِ

تَوَقَّى أَكْلَهَا كُلِّ حِينٍ يَأْذِنُ رِيهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمثالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٩﴾ وَمِثْلُ كَلِمَةِ حَيْثِيَةِ كَشَجَرَةٍ حَيْثِيَةِ أَجْتَنَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٣٠﴾ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٣١﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ ﴿٣٢﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَنَسُوا الْقَرَارَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَدْنًا دَلِيلًا يُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِهِ ؕ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٤﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيَمْشُوا فِي مَسَارِعِهِمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا يَخْتَلِفُ ﴿٣٥﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْآنْهَارَ ﴿٣٦﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٧﴾

حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعْدَبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ ﴿٥﴾ ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ» - قَالَ: - ذَلِكَ إِذَا قِيلَ لَهُ فِي الْقَبْرِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، وَدِينِي الْإِسْلَامُ، وَنَبِيِّ مُحَمَّدًا، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَأَمَّنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيَقَالُ لَهُ: صَدَقْتَ، عَلَى هَذَا عِشْتَ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ ﴿٦﴾. وروى ابن جرير عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنْ الْمَيِّتَ لَيَسْمَعُ خَفَقَ نِعَالِكُمْ حِينَ تُؤْتُونَ عَنْهُ مُدْبِرِينَ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَانَتْ

(١) أحمد: ٢٨٧/٤ (٢) أبو داود: ٥٤٦/٣ والنسائي: ٧٨/٤  
وابن ماجه: ٤٩٤/١ (٣) المنتخب لعبد بن حميد: ١١٧٨ (٤)  
مسلم: ٢٨٧٠ والنسائي: ٩٧/٤ (٥) الترمذي: ١٠٧١ (٦)  
الطبري: ٥٩٦/١٦

هالكين. حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان عن عمرو عن عطاء. سمع ابن عباس **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾** قال: هم كفار أهل مكة <sup>(١)</sup>.

وروى ابن أبي حاتم عن أبي الطفيل أن ابن الكواء سأل علياً عن **﴿الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ﴾** قال: هم كفار قريش يوم بدر <sup>(٢)</sup>، وقال: مشركو قريش أتتهم نعمة الله الإيمان فبدلوا نعمة الله كُفْرًا وأحلوا قومهم دار البوار. والمعنى يعم جميع الكفار، فإن الله تعالى بعث محمداً ﷺ رحمة للعالمين ونعمة للناس فمن قبلها وقام بشكرها دخل الجنة، ومن ردها وكفرها دخل النار.

وقوله: **﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾** أي جعلوا له شركاء عبدوهم معه، ودعوا الناس إلى ذلك، ثم قال تعالى مهدياً لهم ومتوعداً لهم على لسان نبيه ﷺ: **﴿قُلْ تَمَعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾** أي مهما قدرتم عليه في الدنيا فافعلوا، فمهما يكن من شيء **﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾** أي مرجعكم وموئلكم إلينا كما قال تعالى: **﴿نُعِبُّهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضَّطَّرَّهُمْ إِلَيْكَ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾** وقال تعالى: **﴿مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِتْنَا مَرْجِعَهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾** <sup>(٣)</sup>.

**﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ﴾** <sup>(٤)</sup>

### [الأمر بالصلاة والإنفاق]

يقول تعالى أمراً عباده بطاعته والقيام بحقه والإحسان إلى خلقه بأن يقيموا الصلاة، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وأن ينفقوا مما رزقهم الله بأداء الزكوات والنفقة على القرابات والإحسان إلى الأجانب، والمراد بإقامتها هو المحافظة على وقتها وحدودها وركوعها وخشوعها وسجودها، وأمر تعالى بالإنفاق مما رزق في السر أي في الخفية والعلانية وهي الجهر، وليبادروا إلى ذلك لخلاص أنفسهم **﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾** وهو يوم القيامة **﴿لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ﴾** أي ولا يقبل من أحد فدية بأن تباع نفسه، كما قال تعالى: **﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾**

(١) الطبري: ٥٩٦/١٦ (٢) ابن حبان: ٤٥/٥ (٣) عبد الرزاق: ٣٤٢/٢ (٤) الطبري: ٦٠٢/١٦ (٥) الطبري: ١٦/٦٠٢ (٦) فتح الباري: ٢٢٩/٨ (٧) الطبري: ٦/١٧

الصَّلَاةَ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَالرَّكَاعَةَ عَنْ يَمِينِهِ، وَالصُّوْمَ عَنْ يَسَارِهِ، وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلَاةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رَجُلَيْهِ، فَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قَبْلِي مَدْخَلٌ، فَيُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ فَتَقُولُ الرَّكَاعَةُ: مَا قَبْلِي مَدْخَلٌ، فَيُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ فَتَقُولُ الصِّيَامُ: مَا قَبْلِي مَدْخَلٌ، فَيُؤْتَى عِنْدَ رَجُلَيْهِ فَتَقُولُ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ: مَا قَبْلِي مَدْخَلٌ، فَيَقَالُ لَهُ: اجْلِسْ، فَيَجْلِسُ قَدْ مَثَلَتْ لَهُ الشَّمْسُ قَدْ دَنَتْ لِلْغُرُوبِ، فَيَقَالُ لَهُ: أَخْبِرْنَا عَمَّا نَسَأَلُكَ، فَيَقُولُ: دَعْنِي حَتَّى أَصَلِّيَ، فَيَقَالُ لَهُ: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ فَأَخْبِرْنَا عَمَّا نَسَأَلُكَ، فَيَقُولُ: وَعَمَّ تَسْأَلُونِي؟ فَيَقَالُ: أَرَأَيْتَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَاذَا تَقُولُ بِهِ، وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: أُمَحَمَّدًا؟ فَيَقَالُ لَهُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَصَدَّقْنَا، فَيَقَالُ لَهُ: عَلَى ذَلِكَ حَيِّتَ، وَعَلَى ذَلِكَ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَقَالُ لَهُ: انظُرْ إِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، فَيَزِدَادُ غِيظَةً وَسُرُورًا، ثُمَّ تُجْعَلُ نَسَمَتُهُ فِي النَّسَمِ الطَّيِّبِ، وَهِيَ طَيْرٌ خَضِرٌ تَعْلُقُ بِشَجَرِ الْجَنَّةِ، وَيُعَادُ الْجَسَدُ إِلَى مَا بَدِيَ مِنَ التُّرَابِ، وذلك قول الله: **﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾** <sup>(١)</sup>. رواه ابن حبان فذكر جواب الكافر وعذابه <sup>(٢)</sup>.

وروى عبد الرزاق عن طاوس **﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** قال: لا إله إلا الله، **﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾** المسألة في القبر <sup>(٣)</sup>. وقال قتادة: أما الحياة الدنيا فيشبتهم بالخير والعمل الصالح **﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾** في القبر <sup>(٤)</sup>. وكذا روي عن غير واحد من السلف <sup>(٥)</sup>.

**﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ﴾** <sup>(٦)</sup> **﴿حَتَّمَهُمْ بَيْسَلُونَهَا وَيَمَسُّ الْقَرَارِ﴾** <sup>(٧)</sup> **﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾** **﴿قُلْ تَمَعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾** <sup>(٨)</sup>

### [مصير من بدل نعمة الله كُفْرًا]

قال البخاري: قوله **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾** ألم تعلم، كقوله: **﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾** **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا﴾** البوار الهلاك، بار بيور بوراً، **﴿قَوْمًا بُورًا﴾**

الْحَلَقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ فالشمس والقمر يتعاقبان، والليل والنهار يتعارضان، فتارة يأخذ هذا من هذا فيطول، ثم يأخذ الآخر من هذا فيقصر ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾، ﴿يَكْوَرُ أَيْدٍ عَلَى النَّهَارِ وَيَكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ وَسَحَرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّورُ﴾.

وقوله: ﴿وَأَنذَرْتُكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ يقول هيا لكم ما تحتاجون إليه في جميع أحوالكم مما تسألونه بحالكم. وقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ يخبر تعالى عن عجز العباد عن تعداد النعم فضلاً عن القيام بشكرها، وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ غَيْرَ مَكْفِيٍّ، وَلَا مُودَعٍ، وَلَا مُسْتَعْنَى عَنْهُ رَبَّنَا» (٣١).

وقد روي في الأثر أن داود عليه السلام قال: يا رب كيف أشكرك وشكري لك نعمة منك علي؟ فقال الله تعالى: الآن شكرتي يا داود، أي حين اعترفت بالتقصير عن أداء شكر المنعم.

﴿وَلَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٢﴾ رَبِّ إِنِّي نَزَّلْتُ كَيْدًا مِّنَ النَّاسِ فَنَنْبَغِي فَلَنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾

### [دعاء إبراهيم عندما أسكن إسماعيل مكة]

يذكر تعالى في هذا المقام محتجاً على مشركي العرب بأن البلد الحرام بمكة إنما وضعت أول ما وضعت على عبادة الله وحده لا شريك له، وأن إبراهيم الذي كانت عامرة بسببه أهلة تبرأ ممن عبد غير الله، وأنه دعا لمكة بالأمن فقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ وقد استجاب الله له فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَىٰ بَيْتٍ وَضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي لَدُنِّي يَبْتَغَىٰ بَرَكَاتًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ لِّقَوْمٍ أَعْيُنٌ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّن دَخَلِهِ كَانَ آمِنًا﴾ وقال في هذه القصة: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ فعرفه لأنه دعا به بعد بنائها، ولهذا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَضَعَ لِي عَلَى الْكَبِيرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ ومعلوم أن إسماعيل أكبر من إسحاق بثلاث عشرة سنة، فأما حين ذهب بإسماعيل وأمه وهو رضيع إلى مكان مكة فإنه دعا أيضاً فقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ كما ذكرناه هنالك في (١) الطبري: ١٢/١٧ (٢) الطبري: ١٢/١٧ (٣) فتح الباري:

وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقوله: ﴿وَلَا خِلَافٌ﴾ قال ابن جرير: يقول ليس هناك مخالفة لخليل فيصيح عمن استوجب العقوبة عن العقاب لمخالفته، بل هناك العدل والقسط، والخلال مصدر من قول القائل: خاللت فلاناً فأنا أخاله مخالفة وخلالاً (١).

وقال قتادة: إن الله قد علم أن في الدنيا بيوعاً وخلالاً يتخالون بها في الدنيا، فينظر رجل من يخالل، وعلام يصاحب، فإن كان لله فليداوم، وإن كان لغير الله فيسقط عنه (٢). قلت: والمراد من هذا أنه يخبر تعالى أنه لا ينفع أحداً بيع ولا فدية، ولو افتدى بملء الأرض ذهباً لو وجده، ولا تنفعه صداقة أحد ولا شفاعة أحد إذا لقي الله كافراً، قال الله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمَ لَا تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مَتَّ رِزْقَنكُمْ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٤﴾﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٤﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٥﴾ وَأَنذَرْتُكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَقَلْبُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٦﴾﴾

### [بيان نعم الله العديدة]

يعدد تعالى نعمه على خلقه بأن خلق لهم السموات سقفاً محفوظاً، والأرض فراشا وأنزل من السماء ماء فأخرج به أزواجاً من نبات شتى ما بين ثمار وزروع مختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح والمنافع. وسخر الفلك بأن جعلها طافية على تيار ماء البحر تجري عليه بأمر الله تعالى، وسخر البحر لحملها ليقطع المسافرون بها من إقليم إلى إقليم آخر لجلب ما هنا إلى هناك، وما هناك إلى هنا، وسخر الأنهار تشق الأرض من قطر إلى قطر رزقاً للعباد من شرب وسقي، وغير ذلك من أنواع المنافع ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ﴾ أي يسيران لا يفتران ليلاً ولا نهاراً ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ ﴿يُعِشَىٰ أَيْدٍ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرَ وَالنَّجْمُ مَسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ

سورة البقرة مستقصى مطولاً.

وقوله: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ ينبغي لكل داع أن يدعو لنفسه ولوالديه ولذريته، ثم ذكر أنه افتن بالأصنام خلافت من الناس، وأنه تبرأ ممن عبدها ورد أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، كقول عيسى عليه السلام: ﴿إِنْ تَعْبُدُونَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَفْغَرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٨) وليس فيه أكثر من الرد إلى مشيئة الله تعالى لا تجوز وقوع ذلك. عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي أَسْأَلُكَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ الآية، وقول عيسى عليه السلام: ﴿إِنْ تَعْبُدُونَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ الآية، ثم رفع يديه ثم قال: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي، اللَّهُمَّ أُمَّتِي، اللَّهُمَّ أُمَّتِي» وبكى، فقال الله: اذهب يا جبريل إلى محمد، وربك أعلم، وسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ ما قال: فقال الله: اذهب إلى محمد فقل له: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك (١).

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٢٧)

وهذا يدل على أن هذا دعاء ثان بعد الدعاء الأول الذي دعا به عندما ولى عن هاجر وولدها، وذلك قبل بناء البيت، وهذا كان بعد بناه (٢) تأكيداً ورجبة إلى الله عز وجل، ولهذا قال: ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾. وقوله: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ قال ابن جرير: هو متعلق بقوله ﴿الْمُحَرَّمِ﴾ أي إنما جعلته محرماً ليمكن أهله من إقامة الصلاة عنده ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيره: لو قال أفئدة الناس لآزحج عليه فارس والروم واليهود والنصارى والناس كلهم (٣)، ولكن قال: ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ فاختص به المسلمون وقوله: ﴿وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ أي ليكون ذلك عوناً لهم على طاعتك، وكما أنه واد غير ذي زرع فاجعل له ثماراً يأكلونها، وقد استجاب الله ذلك كما قال: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُحْيِي إِلَيْهِ مَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رَزَقْنَا مِنْ لَدُنَّا﴾ وهذا من لطفه تعالى وكرمه ورحمته وبركته أنه ليس في البلد الحرام مكة شجرة مثمرة وهي تجبى إليها ثمرات ما حولها استجابة لدعاء الخليل عليه السلام.

سورة البقرة

٢٦٠

سورة البقرة

وَأَنْتُمْ مِّنْكُمْ مَّنْ كَلِمَاتٍ مَّا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا الْإِنْسَانُ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٢٦﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ تَعْبُدُوا الْأَصْنَامَ ﴿٢٧﴾ رَبِّ إِنِّي أَسْأَلُكَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ يَبْعَثْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٢٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعَلِّقُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٢٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ ﴿٣٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٣١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٣٢﴾

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعَلِّقُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٢٨) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٢٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ ﴿٣٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٣١﴾

قال ابن جرير: يقول تعالى مخبراً عن إبراهيم خليله أنه قال: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعَلِّقُ﴾ أي أنت تعلم قصدي في دعائي، وما أردت بدعائي لأهل هذا البلد، وإنما هو القصد إلى رضاك والإخلاص لك، فإنك تعلم الأشياء كلها ظاهراً وباطناً، لا يخفى عليك منها شيء في الأرض ولا في السماء، ثم حمد ربه عز وجل على ما رزقه من الولد بعد الكبر، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (٢٩) أي إنه

(١) مسلم: ١٩١/١ (٢) يفيد بل يصرح حديث البخاري رقم: ٣٣٦٤ أن إبراهيم دعا بهذا الدعاء حينما جاء مكة لأول وهلة وترك بها إسماعيل رضيعاً (٣) الطبري: ٢٦٠، ٢٥٠/١٧

سورة إبراهيم

٢٦١

سورة إبراهيم

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ  
 هَوَاءٌ ﴿٤٢﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَا نَبِيَّهُمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ  
 ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعْوَتِكَ وَتَشْتِيعُ  
 الرُّسُلُ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مَن قَبْلَ مَا لَكُمْ  
 مِن زَوَالٍ ﴿٤٣﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا  
 أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا  
 لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٤﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ  
 مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ  
 ﴿٤٥﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفًا وَعَدُوهُ رَسُولَهُ إِنَّا اللَّهُ عَزِيزٌ  
 ذُو أَنْتِقَامٍ ﴿٤٦﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ  
 وَبُرُزُوا لِلَّهِ الْوَحِيدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٧﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ  
 مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٨﴾ سَرَّابِلُهُمْ مِّنْ قِطْرَانٍ وَتَعَشَّى  
 وَجُوهُهُمُ النَّارَ ﴿٤٩﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ  
 إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥٠﴾ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ لِيُنذَرُوا  
 بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ الْوَحِيدُ وَلِيَدَّكُرُوا لِأَلْبَابِ ﴿٥١﴾

اللَّهُ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٥﴾  
 [لا مهلة بعد مجيء العذاب]

يقول تعالى مخبراً عن قبل الذين ظلموا أنفسهم عند معاناة العذاب: ﴿رَبَّنَا أَخْرَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعْوَتِكَ وَتَشْتِيعُ الرُّسُلُ﴾ كقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَعْدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾ الآيتين، وقال تعالى مخبراً عنهم في حال محشرهم ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾ الآية، وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يُفْعَلُ عَلَى النَّارِ قَالُوا لَوْلَا جَنَّتْنَا نَرْدًا وَلَا تَكْذِيبَ يَكَايِدَ رَبَّنَا﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا﴾ الآية، قال تعالى راداً عليهم في قولهم هذا: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مَن قَبْلَ مَا لَكُمْ مِن زَوَالٍ﴾ أي أولم تكونوا تحلفون من قبل هذه الحالة أنه لا زوال لكم عما أنتم فيه، وأنه لا معاد ولا جزاء، فدوقوا هذا بذلك، قال

يستجيب لمن دعاه، وقد استجاب لي فيما سألته من الولد، ثم قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾ أي محافظاً عليها مقيماً لحدودها ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ أي واجعلهم كذلك مقيمين لها ﴿رَبَّنَا وَقَبَلْ دُعَاؤَ﴾ أي فيما سألتك فيه كله ﴿رَبَّنَا أَعِزِّ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ وكان هذا قبل أن يتبرأ من أبيه لما تبين له عداوته لله عز وجل ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ أي كلهم ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ أي يوم تحاسب عبادك فتجازيهم بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾

[إمهال الله للكافرين ليس عن غفلة]

يقول تعالى: ولا تحسبن الله يا محمد غافلاً عما يعمل الظالمون، أي لا تحسبنه إذا أنظرهم وأجلهم أنه غافل عنهم مهمل لهم، لا يعاقبهم على صنعهم، بل هو يحصي ذلك ويعدده عليهم عدداً ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ أي من شدة الأهوال يوم القيامة، ثم ذكر تعالى كيفية قيامهم من قبورهم وعجلتهم إلى قيام المحشر، فقال: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي مسرعين، كما قال تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُمْ﴾ - إلى قوله - ﴿وَعَسَى الْأُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقُبُورِ﴾ وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْمَاتِ سِرًا﴾ الآية، وقوله: ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: رافعي رؤوسهم<sup>(١)</sup> ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ أي أبصارهم طائرة شاخصة يديمون النظر، لا يطفرون لحظة لكثرة ما هم فيه من الهول والفكرة والمخافة لما يحل بهم، عياداً بالله العظيم من ذلك، ولهذا قال: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ أي وقلوبهم خاوية خالية ليس فيها شيء لكثرة الوجع والخوف، ولهذا قال قتادة وجماعة: إن أمكنة أفئدتهم خالية لأن القلوب لدى الحناجر قد خرجت من أماكنها من شدة الخوف<sup>(٢)</sup>. ثم قال تعالى لرسوله ﷺ:

﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَا نَبِيَّهُمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعْوَتِكَ وَتَشْتِيعُ الرُّسُلُ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مَن قَبْلَ مَا لَكُمْ مِن زَوَالٍ ﴿٤٣﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٤﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ

(١) الطبري: ٣٢، ٣١/١٧ (٢) الطبري: ٣٤/١٧

لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ يقول: شركهم كقولهم: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ﴾ الآية (٤٤). وهكذا قال الضحاك وقطادة (٥).

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعْدُوهُ. رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو

الْإِنْفِقَارِ﴾ (٤٧) يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ سَبْرًا لِلَّهِ

الْوَارِثِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾

### [لا يخلف الله الميعاد]

يقول تعالى مقررًا لوعده ومؤكداً: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعْدُوهُ رُسُلَهُ﴾ أي من نصرتهم في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، ثم أخبر تعالى أنه ذو عزة لا يمتنع عليه شيء أرادته ولا يغالب، وذو انتقام ممن كفر به وجحدته ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٥)، ولهذا قال: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ أي وعده هذا حاصل يوم تبدل الأرض غير الأرض، وهي هذه على غير الصفة المألوفة المعروفة، كما جاء في الصحيحين عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقَرْصَةِ النَّقِيِّ، لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ» (٦).

وروى الإمام أحمد عن عائشة أنها قالت: أنا أول الناس سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ قالت: قلت: أين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: «عَلَى الصَّرَاطِ» (٧). رواه مسلم منفرداً به دون البخاري، والترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن صحيح (٨).

وروى الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه أن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ، فجاهه حبر من أبحار اليهود، فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يُصرع منها، فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله؟ فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي» فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال رسول الله ﷺ: «أَيُنْفَعُكَ شَيْئًا إِنْ حَدَّثْتُكَ؟» قال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه فقال:

(١) الطبري: ٣٦/١٧ (٢) الطبري: ٣٩/١٧ (٣) الطبري:

٣٩/١٧ (٤) الطبري: ٤١/١٧ (٥) الطبري: ٤١/١٧ (٦)

فتح الباري: ٣٧٩/١١ ومسلم: ٢١٥٠/٤ (٧) أحمد: ٣٥/٦

(٨) مسلم: ٢١٥٠/٤ وتحفة الأحوذى: ٥٤٨/٨ وابن ماجه: ٢/

مجاهد وغيره: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ أي ما لكم من انتقال من الدنيا إلى الآخرة (١١)، كقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِكُمْ﴾ الآية، ﴿وَسَكَّنتُمْ فِي مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَبَنِينَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ (١٥) أي قد رأيتم وبلغكم ما أحللنا بالأمم المكذبة قبلكم ومع هذا لم يكن لكم فيهم معتبر، ولم يكن فيما أوقعنا بهم لكم مزدجر ﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْتُذْرُؤُ﴾ (٥) وقد روى شعبة عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن [بن داويل] أن علياً رضي الله عنه قال في هذه الآية: ﴿وَإِنْ كَانَتْ مَكْرَهُمْ لِيَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ قال: أخذ ذلك الذي حاج إبراهيم في ربه نسرين صغيرين، فرباهما حتى استغلظا واستفحلا وشبا، قال: فأوثق رجل كل واحد منهما بوتد إلى تابوت وجوعهما، وقد هو ورجل آخر في التابوت، قال: ورفع في التابوت عصاً على رأسه اللحم فطارا، وجعل يقول لصاحبه: انظر ما ترى؟ قال: أرى كذا وكذا حتى قال: أرى الدنيا كلها كأنها ذباب. قال: فصوب العصا، فصوبها فهبط جميعاً، قال: فهو قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ كَادَ مَكْرَهُمْ لِيَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ (٢٢) قال أبو إسحاق: وكذلك هي في قراءة عبدالله: ﴿وَإِنْ كَادَ مَكْرَهُمْ﴾.

وذكر مجاهد هذه القصة عن بختنصر وأنه لما انقطع بصره عن الأرض وأهلها، نودي أيها الطاغية أين تريذ؟ ففرق ثم سمع الصوت فوقه، فصوب الرماح فصوبت النسور، ففزعت الجبال من هبتها، وكادت الجبال أن تزول من حس ذلك، فذلك قوله: ﴿وَإِنْ كَانَتْ مَكْرَهُمْ لِيَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ (٣٣).

ونقل ابن جريج عن مجاهد أنه قرأها لتزول منه الجبال بفتح اللام الأولى وضم الثانية. وروى العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِنْ كَانَتْ مَكْرَهُمْ لِيَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ يقول: ما كان مكرهم لتزول منه الجبال، وكذا قال الحسن البصري، ووجهه ابن جرير بأن هذا الذي فعلوه بأنفسهم من شركهم بالله وكفرهم به، ما ضر شيئاً من الجبال ولا غيرها، وإنما عاد وبأل ذلك عليهم، قلت: ويشبه هذا قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَمِشْ فِي الْأَرْضِ مَرَمًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (٣٧). والقول الثاني في تفسيرها ما رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿وَإِنْ كَانَتْ مَكْرَهُمْ

من قطران، وهو الذي تهنا به الإبل أي تظلى. قال قتادة: وهو الصق شيء بالنار.

وكان ابن عباس يقول: القطران هنا النحاس المذاب<sup>(٣)</sup>، وربما قرأها: (سَرَابِيْلُهُمْ مِنْ قَطْرٍ أَنْ) أي من نحاس حار قد انتهى حره. وكذا روي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقاتدة<sup>(٤)</sup>. وقوله: ﴿وَتَقَشَّىٰ وَجُوهُهُمْ النَّارُ﴾ كقوله: ﴿تَلَفَحَ وَجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾<sup>(٥)</sup>. وقال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا يحيى بن إسحاق، أنبأنا أبان بن يزيد عن يحيى بن أبي كثير عن زيد عن أبي سلام، عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُقُونَهَا: الْفَحْرُ بِالْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْأَشْتِيقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ، وَالنَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتَّبِ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطْرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»<sup>(٥)</sup> انفراد بإخراجه مسلم<sup>(٦)</sup>.

وقوله: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ أي يوم القيامة كما قال: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا يَمَا عَمِلُوا﴾ الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي في حال محاسبته لعبده سريع النجاس لأنه يعلم كل شيء، ولا يخفى عليه خافية، وإن جميع الخلق بالنسبة إلى قدرته كالواحد منهم، كقوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بِعَمَلِكُمْ إِلَّا كَفَعْنَا وَجِدًّا﴾ وهذا معنى قول مجاهد: ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ إحصاء.

﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٥)</sup>

يقول تعالى هذا القرآن بلاغ للناس كقوله: ﴿لَا يُذَكِّرُ بِهِ وَمَنْ بَلَّغٌ﴾ أي هو بلاغ لجميع الخلق من إنس وجن كما قال في أول السورة: ﴿الَّذِي كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ الآية، ﴿وَلِيُنذَرُوا بِهِ﴾ أي ليتعظوا به ﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ أي يستدلوا بما فيه من الحجج والدلالات على أنه لا إله إلا هو ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أي ذوي العقول.

آخر تفسير سورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، والحمد لله رب العالمين.

(١) مسلم: ٣١٥ (٢) الطبري: ٥٤، ٥٣/١٧ (٣) الطبري:

٥٦/١٧ (٤) الطبري: ٥٦، ٥٥/١٧ (٥) أحمد: ٣٤٢/٥

(٦) مسلم: ٦٤٤/٢

«سَلِّ» فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ: «هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ» قال: فمن أول الناس إجازة؟ فقال: «فَقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ». فقال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «زِيَادَةُ كَيْدِ النَّوْنِ» قال: فما غذاؤهم في أثرها؟ قال: «يُنْحَرُ لَهُمْ نُورُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا» قال: فما شرابهم عليه؟ قال: «مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلاً». قال: صدقت، قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان. قال: «أَتَيْتُكَ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟» قال: أسمع بأذني. قال: جئت أسألك عن الولد، قال: «مَاءُ الرَّجُلِ أَيْضُ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَضْفَرُ، فَإِذَا اجْتَمَعَا فَعَلَا مِنْهُ الرَّجُلُ مَيِّ الْمَرْأَةِ، أَذْكَرَا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِذَا عَلَا مَيِّ الْمَرْأَةِ مَيِّ الرَّجُلِ، أَنْتَا بِإِذْنِ اللَّهِ» قال اليهودي: لقد صدقت، وإنك لنبى ثم انصرف، فقال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ سَأَلَنِي هَذَا عَنِ الَّذِي سَأَلَنِي عَنْهُ، وَمَا لِي عِلْمٌ بِشَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى آتَانِي اللَّهُ بِهِ»<sup>(١)</sup>

وقوله: ﴿وَبَرُّوْا لِلَّهِ﴾ أي خرجت الخلائق جميعها من قبورهم لله ﴿الْوَالِدِ الْفَهَّارِ﴾ أي الذي قهر كل شيء وغلبه ودانت له الرقاب وخضعت له الأبواب.

﴿وَتَرَى الْمَجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾<sup>(١٩)</sup> سَرَابِيْلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَقَشَّىٰ وَجُوهُهُمْ النَّارُ ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾<sup>(٢٠)</sup> إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾

### [أحوال المجرمين يوم القيامة]

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ وتبرز الخلائق لديانها، ترى يا محمد يومئذ المجرمين وهم الذين أجرموا بكفرهم وفسادهم ﴿مُقْرَّنِينَ﴾ أي بعضهم إلى بعض قد جمع بين النظراء أو الأشكال منهم كل صنف إلى صنف، كما قال تعالى: ﴿أَحْضَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْزَجَهُمْ﴾ وقال: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ رُوِّجَتْ﴾<sup>(٢٧)</sup> وقال: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَبَقًا مُقْرَّنِينَ دَعَا هُنَالِكَ ثُبُوكَ﴾<sup>(٢٨)</sup> وقال: ﴿وَالنَّاطِقِينَ كُلَّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ﴾<sup>(٢٩)</sup> وَمَاخِرِينَ مُقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٠﴾ والأصفاد هي القيود، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير والأعمش وعبد الرحمن بن زيد<sup>(٢٢)</sup>، وهو مشهور في اللغة.

وقوله: ﴿سَرَابِيْلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ﴾ أي ثيابهم التي يلبسونها